

نزار قباني



سَيَبْقَى الطَّبَّ سَيِّدِي ..

الطبعة الثالثة
كانون الثاني (يناير)
1992

نظرية جديدة لتكوين العالم

في البدء .. كانت فاطمه
وبعدها تكونت عناصر الأشياء
النارُ , والترابُ
والمياه , والهواءُ
وكانت اللغات والأسماء ..
والسيفُ , والربيع
والسباح , والمساءُ
وبعد عيني فاطمه
اكتشف العالم سرَّ الوردة السوداء
وبعدها .. بألفِ قرنٍ
جاءت النساءُ ..

ليست تقال

حاولتُ أسألُ : ما الأنوثة ؟

ثم عدت عن السؤال

فأهم شيءٍ في الأنوثة

أنها .. ليست تقال

محاولات لقتل امرأةٍ لا تقتل ..

-1-

وعدتك أن لا أحبك ..
ثم أمام القرار الكبير , جبت
وعدتك أن لا أعود
وعُدتُ
وأن لا أموتَ اشتياقاً
ومتُّ
وعدتُ مراراً
وقررتُ أن أستقيل مراراً
ولا أتذكرُ أنني استقلتُ ...

وعدت بأشياء أكبر مني ..
فماذا غدا ستقول الجرائد عني ؟
أكيدُ .. ستكتب أنني انتحرت
انتحرت
وعدتك أن لا أكون ضعيفاً .. وكنتُ ..
وان لا أقول بعينيك شعراً ..
وقلت
وعدتُ بأن لا .. وأن لا .. وأن لا ..
وحين اكتشفتُ غبائي ..
ضحكت ..

وعدتكِ ..
أن لا أبالي بشعرك حين يمر أمامي
وحين تدفق كالليل فوق الرصيف ..
صرخت ..
وعدتكِ ..
أن أتجاهل عيناك , مهما دعاني الحنينُ
وحين رأيتهما تمطران نجومًا ...
شهقتُ ..
وعدتكِ ..
أن لا أوجه أي رسالة حب إليك ..
ولكنني - رغم انفي - كتبتُ
وعدتكِ ..
أن لا أكونَ بأي مكاناً تكونين فيه ..
وحين عرفت أنكِ مدعوة للعشاء ..
ذهبتُ ..
وعدتكِ ألا أحبكِ ..
كيفَ ؟
وأين ؟

وفي أي يومٍ تراني وعدت ؟
لقد كنتُ أكذب من شدة الصدق ،
والحمد لله أني كذبتُ ..

وعدتُ ..
بكل برود .. وبكل غباء
بإحراق كل الجسور ورائي
وقررت بالسر قتل جميع النساء
وأعلنت حربي عليكِ
وحين رأيت يديكِ المسالمتين ..
اختجلتُ ..
وعدتُ بأن لا .. وأن لا .. وأن لا ..
وكانت جميع وعودي
دخاناً , وبعثرتهُ في الهواء

وعدتك..
أن لا أتلفن ليلاً إليك
وان لا أفكر فيك, إذا تمرضين
وان لا أخاف عليك
وان لا اقدم ورداً ...
وتلفنت ليلاً .. على الرغم مني ..
وأرسلتُ ورداً على الرغم مني ..
وعدت بأن لا .. وأن لا .. وأن لا ..
وحين اكتشفتُ غبائي ضحكتُ ...

وعدتُ ..
بذبحك خمسين مره ..
وحين رأيت الدماء تغطي ثيابي
تأكدت أنني الذي قد دُبحْتُ ..
فلا تأخذيني على محمل الجد ..
مهما غضبت .. ومهما انفعلت ..
ومهما اشتعلت .. ومهما انطفأت ..
لقد كنتُ أكذب من شدة الصدق
والحمد لله أنني كذبت ...

وعدتكِ .. أن أحسم الأمر فوراً ..
وحين رأيتُ الدموع تهرهر من مقلتيكِ
ارتبكت ..

وحين رأيتِ الحقائب في الأرض ,
أدركت انك لا تقتلين بهذه السهولة
فأنتي البلادُ .. وأنتِ القبيلة ..
وأنتي القصيدة قبل التكون ,
أنتِ الدفاتر .. أنتِ المشاوير .. أنتِ الطفولة
وأنتِ نشيد الأناشيد ..
أنتِ المزامير ..
أن المضيئة ..
أنتِ الرسولهُ ..

وعدتُ ..
بالغاء عينيكَ من دفتر الذكرياتِ
ولم أكُ أعلم أنني سألغي حياتي
ولم أكُ أعلم أنكِ ..
- رغم الخلاف الصغير - أنا ..
وأنني أنتِ ..
وعدتكِ أن لا احبكِ
- يا للحماقة -
ماذا بنفسِي فعلتُ ؟
لقد كنتِ اكذب من شدة الصدق ,
والحمد لله أنني كذبت

وعدتكِ ..
أن لا أكون هنا بعد خمس دقائق ..
ولكن .. إلى أين أذهب؟
إن الشوارع مغسولة بالمطر ..
إلى أين أدخل ؟
إن مقاهي المدينة مسكونة بالضجر
إلى أين أبحر وحدي ؟
وأنت البحار ..
وأنت القلوع ..
وأنت السفر ..
فهل ممكنٌ
أن أظل لعشر دقائق أخرى
لحين انقطاع المطر؟
أكيدُ بأنني سأرحل بعد رحيل الغيوم
وبعد هدوء الرياح ..
والأ..
سأنزل ضيفاً عليكِ
إلى أن يجيء الصباح

وعدتكِ ..
أن لا احبكِ , مثل المجانين , في المرة الثانية
وان لا أهاجم مثل العصافير..
أشجار تفاحك العالية
وان لا أمشط شعرك - حين تنامين -
يا قطتي الغالية
وعدتكِ , أن لا أضيع بقيه عقلي
إذا ما سقطتي على جسدي نجمة حافية
وعدت بكبح جماح جنوني
ويسعدني أنني لا أزال
شديد التطرف حين أحب
تمام كما كنت في
السنة الماضية
وعدتكِ أن لا أخبئ وجهي
بغابات شعرك طيلة عام
وان لا أصيد المحار
على رمل عينيك طيلة عام
فكيف أقول كلاماً سخيلاً
كهذا الكلام

وعيناكي داري
ودار السلام
وكيف سمحت لنفسي
بجرح شعور الرخام
وبيني وبينك خبزا وملكاً
وسكب نبیذا
وشدو حمام
وأنت البداية في كل شيء
ومسك الختام
وعدتكي أن لا أعود وعدت
وان لا أموت اشتياقا ومت
وعدت بأشياء اكبر مني
فماذا بنفسي فعلت
لقد كنت اكذب من شدة الصدق
والحمد لله أني كذبت

التانغو الأخير
فوق حقل من التوليب الأحمر ..

1

كنتِ ..
في أحسن الاتك – يا سيدتي – هذا المساء
كان نهداك ..
يذيعان بلاغَ الثورة الأولى بتاريخ النساء
ويقودان انقلاباً ضدّ كل الخلفاء ..
كان في عينيك غيم أسود ..
وبدايات شتاء ..
ونبوءات جميع الأنبياء ..

لك تكوني امرأة عادية ..
في ذلك اليوم الشتائي الذي يحكمه الكونياك ,
والقهوة .. والجنس .. وإيقاع المزاريب ,
وموسيقى المطر ..
كنتِ جمرأً . كنتِ فحماً
كنتِ شيئاً لا يسمى .
لم تكوني دمية محشوة بالقطن .. مثل الأخريات
كنتِ وحشاً رائعَ الجلد جميلاً ..
لم تكوني نسمة من نشمات الصيف ..
لكنْ كنتِ زلزلاً مهولاً .
لم تكوني زهرة من ورق ..
بل حصاناً .. يمتنع الشرشف شوقاً وصهيلاً ..

كان تشرين بلا عقل ..
 وكان العشبُ متروكاً على فطرته الأولى ..
 وماري , تصنع الحب على فطرتها الأولى ..
 وكانت تتهجي جسدي حرفاً فحرفاً ..
 دونَ أن تخطئ في تشكيل كل الكلماتِ
 ربما الكونياكُ قد ثقف ماري ..
 فهي تختار أرق المفردات .
 ربما الكونياك قد علمها
 أن في إمكان نهديها احتلال الكائنات
 هذه الليلة , يا ماري , سأبقى صامتاً
 فالبراندي , هو سلطان اللغاتِ ..

كنتَ في أخصب أيامكِ, يا ماري,
 وكانت أنهر الياقوت تجري بهدوء ..
 والازاهير تغطي كل أنحاء السرير ..
 لم تكوني امرأة مذعورة .. أو خائفة
 كنت سكيناً بقلب العاصفة
 شربتُ سجادة الموكيت, يا سيدتي, نصف دمي
 وأنا اقتطف التوليب مبهوراً ..
 وأحسو المطر الوردي من أعلى الينابيع ..
 وأكوي بالبراندي شفة الجرح ..
 ولا أحسبُ للنار حساباً ..
 آه .. يا ماري التي تفتح لي أسوارها مثل كتاب
 لم يعد عندي ما أقرؤه.
 فأنا آتٍ من الأرض الخراب ..

آه .. يا ماري التي تلبس لي
في أول الليل قميصاً معجزه ..
وإذا ما انتصف الليل ..
قميصاً معجزه ..
كيف صار الزغب الطالع من إبطيك ..
أسلاك حرير ؟
آه .. يا ماري التي تحفرني في بطنها العاري ..
كجرح مستدير ..
يا التي أزرع في أحشائها ..
السيف الأخير ..

أحرق الكونياك أعصابي ..
وفي عينيك برقٌ .. ورعودٌ .. ومطرٌ
وقلوع .. واحتمالات سفر
لم أكن أدرك ما يجري تماماً ..
غير أن الأرض كانت تحتنا تهتز ..
والجدران , والأبواب , والأكواب , واللوحات ,
والأشجار , والأوراق في الريح تطير
لم أكن أسمع إلا جرس القرية في الليل ,
وإلا وقع أقدام على الثلج ,
وإلا صرخة الأنثى التي تشتعل النار بقلب
الزمهرير
آه .. يا ماري التي تشرح لي كل شيء .. مثل
تلميذٍ صغيرٍ .
أنت منفاي النهائي .. ومينائي الأخير
فاسحبيني من يدي ..
قبل أن يبلغني البحر الكبير ...

إلى سمكة قبرصية .. تدعى تامارا ...

1

باسم ليما سول ..

شكراً يا تامارا

باسم هذا الخاتم المغول بالفيروز ..

شكراً يا تامارا

باسم هذا الدفتر المفتوح للضوء .. وللشعر ..

وللعشاق ..

شكراً يا تامارا

باسم أسراب من النورس كانت

تنقر الحنطة من ثغرك ..

شكراً يا تامارا

باسم كا القبرصيين الذين اكتشفوا
اللؤلؤ الأسود في عينيك ..

شكراً يا تامارا

باسم أحزاني التي ألقيتها في بحر بيروت.

وأجزائي التي أبحثُ عنها ..

في زوايا الأرض ليلاً ونهاراً ...

ألفُ شكر .. يا تامارا.

*

يا تامارا القبرصية:
أيها السيف الذي يقتلني من قبل أن يلقي التحية
باسم مقهانا البدائي على البحر ..
وكرسيين مزروعين في الرمل ..
و (أنطونيو) الذي كان خلال الصيف عراب
هوانا
والذي كان وديعاً مثل قط منزلي ..
وعريقاً مثل تمثال حكيم من أثينا ,
ورقيقاً .. وصديقاً . عندما يختار في الليل لنا
فاطمة البحر ..
ويوصيك بأن ترتشفي (الأوزو)
الذي تشربه آلهة اليونان في الحب وفي الحرب ..
ويرجوك بأن تستمتعي بمذاق (الكالامار)
ومذاق العشق في تلك الجزيرة
باسم آلاف التفاصيل الصغيرة ..
ألف شكر .. يا تامارا

كيف أنسى امرأة من قبرص ..
 تدعى تامارا ..
 شعرها تعلقه الريح
 ونهداها يقيمان مع الله حوارا ..
 خرجت من رغبة البحر كعشتار .. وكانت
 تلبس الشمس بساقيها سوارا ..
 كيف أنسى جسداً ؟
 يقدح كالفوسفور في الليل شرارا ..
 كيف أنسى حلماً مجنونة
 مزقت لحمي , صعوداً ..
 وانحدارا ...

اصهلي .. يا فرس الماء الجميله
إصرخي .. يا قطه الليل الجميله
بلليني برذاذ الماء والكحل ..
فلولاك لكانت هذه الأرض صحاري ..
بلليني .. بالأغاني القبرصيه
ما تهم الأبجديات .. فأنتِ الأبجدية ..
يا التي عشت إلى جانيها العشق .. جنوناً
وانتحارا ..
يا التي ساحلها الرملي يرمي لي ..
زهوراً .. ونبیذاً قبرصياً .. ومحاراً ..

لم يكن حب تامارا ..
ذبك الحب الروائي , ولكن
كان عصفاً ودمارا ..
لم يكن جدول ماء
إنما كان انفجارا
لم يكن حباً صغيراً ..
فقد احتل بلاداً .. وشعوباً .. وبحارا
كا أمجادي سراب خادع
ليس من مجدٍ خقيقي ..
سوى عيني تامارا ..

تحت سطح الماء .. أحببت تامارا ..
ورأيت السمك الأحمر .. والأزرق
والفضي ..
فوجئت بغابات من المرجان ..
داعبت كطفل سلحفاة البحر ,
لامستُ النباتات التي تقترب الإنسان ,
حاولت انتشار السفن الغرقى من القعر ..
ولملت كنوزاً ليس تحصي ..
ونجوماً .. وثماراً ..
تحت سطح الماء .. أعلنتُ زواجي بتامارا
فإذا بالموج قد صار نبيذاً
وإذا الأسماكُ أصبحن سكارى ..

ما الذي يحدث تحت الماء في جلد تامارا ؟
 فهنا .. الأحمر يزداد احمرارا
 وهنا . الأخضر يزداد اخضارا ..
 وهنا السرة تزداد أمام الضوء ..
 خوفاً .. وانبهارا ..
 ما الذي يحدث في عقلي .. وفي عقل تامارا ؟
 سمك الدولفين يرمي نفسه ..
 كالمجانين يميناً .. ويساراً ..
 سمك الدولفين يدعوني لكي أقفز في الماء ..
 وفي مملكة الأسماك ..
 لا أملك رأياً أو خياراً ..
 عبثاً .. أن يسأل الإنسان عن ماضيه أو حاضره
 عندما يتخذ البحرُ القرارا ...

يا تالامارا ..
أنتِ في قبرص كبريت .. وشمعٌ
وأنا موسى الذي أوقد تحت الماء نارا ...

ليماسول آذار (مارس) 1984

ثلاث مفاجآت لامرأة رومانسية ..

ستفاجأ - سيدتي - لو تعلم
أني أجهل ما تعريفُ الحب !!
وستحزن جداً .. حين ستعلم
أن الشاعر ليس بعلام للغيب ..
أنا آخر رجل في الدنيا
يتنبأ عن أحوال القلب

سيدتي .

إني حين أحبك ..

لا احتاج إلى (أل) التعريف

سأكون غيباً لو حاولتُ

وهل شمسٌ تدخل في ثقب

لو عندك تعريفٌ للشعر ..

فعندي تعريفٌ للحب ..

*

ستفاجأ سيدتي لو تعلم
أني أُمي في علم التفسير
إن كنت نجحت في عمل الحب
فما نفع التنظير؟؟
أُصدق أحد أن ملك العشاق وصياد الكلمات
والديك الأقوى في كل الحلبات
لا يعرف أين .. وكيف ..
تبللنا أمطارُ الوجد
ولما هند تدخلنا في زمن الشعر ..
ولا نتدخلنا دعدُ ..
أُصدق أحد أن فقيه الحب , ومرجعه
لا يحسن تفسير الآيات ..
*

ستفاجأ سيدتي لو تعلم،
أني لا أهتم بتحصيل الدرجات
وبأني رجلٌ لا يربعه تكرار السنوات
وتفاجأ أكثر ..

حين ستعلم أن رغم الشيب .. ورغم الخبرة ..
لم أخرج من جامعة الحب ..
إني تلميذٌ سيدتي ..
إني تلميذك سيدتي ..
وسأبقى – حتى يأذن ربي – طالبَ علم
وسأبقى دوماً عصفواً ..
يتعلم في مدرسة الحلم ...

الجديد

... وأجهل حين أكون بحضرة عينيّك
ماذا أريدُ .. وما لأأريد ..
ولم يكن الحبّ شيئاً جديداً عليّ ..
ولكن حبك كان الجديد ...

الرب العاشق

سيدتي :
حبك صعبٌ
حبك صعبٌ
حبك صعب
لو عاني الرب كما عانيتُ
لصاح من البلوى: " يا ربّ " ..

5 دقائق

إجلسي خمس دقائق
لا يريد الشعر كي يسقط كالدرويش
في الغيبوبة الكبرى
سوى خمس دقائق ..
لا يريد الشعر كي يثقب لحم الورق العاري
سوى خمس دقائق ..
فاعشقينني لدقائق ..
واختفي عن ناظري بعد دقائق

لستُ أحتاجُ إلى أكثر من علبة كبريتٍ
لإشعال ملايين الحرائق
إن أقوى قصص الحب التي أعرفها
لم تدم أكثر من خمس دقائق ...

الديك

سبق السيف العزل
سبق السيف العزل
غرق المركب في الليل بنا
قبل أن تبدأ في شهر العسل
واستقال الديك من منصبه
تاركاً من خلفه
عشرين ديوان غزل
واستقال الليل من عبء الهوى
واستقال الثغر من نار القبل
فلماذا أنت في المسرح يا سيدتي
بعد أن مات البطل؟؟

نرجسية

إمرأة مطفأة الذكاء
غبية في قمة الغباء
هل ممكن أن تبلغى خمساً وعشرين سنة؟
ولا تزالين تعيشين على هواش التاريخ والأشياء
هل ممكن ..
أيتها الساذجة , السطحية , الحمقاء
هل ممكن أن تجهلي ..
أني الذي أسس جمهورية النساء ؟؟

بروتوكول

بوسعك أن تجلسي حيثُ شئتِ ..
ولكن ..

حذار بأن تجلسي في مكان القصيده
صحيح بأنني أحبك جداً ..
ولكنني في سرير الهوى
سأنسى تفاصيل جسمك أنتِ ..
وأختار جسمَ القصيده ..

التراجيديا

يسمونني في بلادي (ملك النساء)
وما عرفوا أن قصري زجاج
وعرشي هواء
يقولون إني بخير ..
وما شاهدوني
أخوض في بركة من دماء
*

يقولون إني القوي المهيم, والفتاح الأعظم
وأن حريمي لا تغرب الشمس عنه
وممتلكاتي العيون الكبيرة, والأنجم
فأي ملك تعيس أنا؟
إذا كنت أملك جيش نساء
ولا أحكم !!!

الرجل المعدني

شفطاك من حجر .. وصوتك من حجر
ويداك أنيتان من عصر الحجر ..
وأنا على طرف السرير .. كنخلة
من ألف قرن .. وهي تنتظر المطر
إنهض .. فإنك حالة ميؤوسة
إنهض .. فلا علمٌ لديك ولا خبر ..
أنسيتني شكلي .. وشكل أنوثتي
وكسرت أغصاني .. وأتلفت الزهر
أني أعض على بياض شراشفي
وأعض من قهري شبابيك القمر

نهدان

للمرأة التي أحبها
نهدان عجيبان
واحد من بلاد النبيذ
وواحد من بلاد الحنطة
واحدٌ مجنون كرامبو
وواحدٌ مغرور كالمتنبي
واحدٌ من شمال أوروبا
وواحدٌ من صعيد مصر
وبينهما ...
دارت كلّ الحروب الصليبية ..

رائحة الكتابة

للمرأة التي أحبها
قدمان صغيرتان جداً ..
تشبهان كلام الأطفال
ولجسدها رائحة سرية جداً
كرائحة الكتابة الممنوعة

تدخين

كنتُ أدخن مئة سيجارة في اليوم
وتوقفت عن الانتحار ببطوله
والآن ..
أحاول التوقفَ عن تدخين امرأة واحدة
فلا أستطيعُ

موسيقى

أمطارُ أوروبا
تعزف سوناتات بيتهوفن
وأمطار الوطن ..
تعزفُ جراحات سيد درويش
وأنا بدون تردد
مع هذا الإسكندرانيّ
الذي يضيءُ في حنجرته قمر الحزن ..
وماذن سيدنا الحسينُ ...

طبيعة الرجل

يحتاج الرجلُ إلى دقيقةٍ واحده
ليعشقَ امرأه ...
ويحتاج إلى عصور لنسيانها ...

الخروج عن النص

1

أرسم على كراستي مهرين صغيرين
يلعبان على ساحل البحر
ويرشان بعضهما بالماء
واحدٌ له جناح من صوف الأنغورا
والثاني له جناح من دانتيل فينيسيا
واحدٌ يأكل العشب من مراعي القمر
وواحدٌ يأكل العشب من مراعي صديري
واحدٌ .. أضعُ على رأسه نقطة حمراء
وواحدٌ .. أتركه بلا تنقيط
أرسم على كراستي مهرين صغيرين
واحدٌ تعود أنت يرضع حليب أمه ..
وواحدٌ تعود أن يرضع دمي ..
وأسميهما مجازاً (النهدين) ..

يكفرني الذين لم يشاهدوا في حياتهم نهذاً حقيقياً
لأنني رسمت على كراستي حصاناً
وعندما انتهيت من رسم الحصان
قفز من الكراسية , وطار ..
يعتبرون عملي بدعة
وخروجاً عن النص ..
فالنص حجرٌ .. والنهد نافورة ماء
فالنص سجن للنساء
والنهد انقلاب أبيض
والنص نظام استعماري قديم
والنهد حركة ليبرالية ..
والنص زجاجة ضيقة العنق
والنهد سمكه ...

يهاجمني التاريخيون ..
عندما أخبرهم أنني عرفت في أسفاري
نهوداً من جزر ناهيتي
تنبت كأسجار جوز الهند
ونهوداً من بساتين شط العرب
تنط على كتف الرجل .. كضفدة نهريه
ونهوداً من تايلاند
تختصر رقة كونفوشيوس
وعنفَ ماوتسي تونغ ..
ونهوداً من جنوب السودان
لها رائحة البن المحروق
تدخل في خاصرة العاشق
ولا تخرج .. إلى أن يشاء الله ..

يديّني ..
كل الذين لم يشاهدوا في حياتهم ..
أرنباً يركض
يطلقون النارَ على أسماكي ..
وضفادعي ..
وأزاهيري الاستوائيه ..
يطلقون النار على حصاني
لأنه حملك على ظهره ذات ليلة
ومشى سبعة أيام .. وسبع ليالٍ
حتى أوصلك بسلامة الله
إلى شواطئ صدري ..

أريد أن أعيش

ساعديني على الخروج حياً ..
من متاهات الشفتين المكتنزتين .. والشعر الأسود
إن معركتي معك ليست متكافئه
فأنا لست سوى سمكة صغيرة
تسبح في حوض من النحاس السائل
ساعديني على التقاط أنفاسي
فإن نبضي لم يعد طبيعياً
ووقتي صار مرهوناً بمزاجية نهديك
فإذا ناما نمت ..
وإذا استيقظا استيقظت
ساعديني على التفريق بين بدايات أصابعي
ونهايات عمودك الفقري
ساعديني على السفر من خريطة جسدك
فإنني أريد أن أعيش ..

قراءة في كف امرأة جميلة ..

ليس هناك امرأة في الدنيا أجمل منك ..
ولكن مشكلتك ..

كمشكلة الوردة التي لا تشم عطرها ..

كمشكلة الكتاب الذي لا يعر القراءة ..

أنتِ أهم امرأة في العالم.

لا لأن عينيكَ هما حديقتان آسيويتان مقمرتان

ولا لأن شفَتَيْكَ تحتكران نصف محصول فرنسا
من النبيذ

ولا لأن نهديكَ هما أول ديكتاتورين يحكمان

العالم الثالث

ولا لأن جسدك الذكي ..

يفهم ما أقوله , قبل أن أقوله ..

أنتِ أهم امرأة في العالم ..

لأنني أحبك ..

أشهرك في وجه البشاعة .. دفتر شعر

1

أشهرك في وجه العالم

سيفاً من الياسمين ..

وأعلن انتصاري .

أشهرك في وجه الكافرين ,

كتاباً مقدساً

وفي وجه الأميين , قصيده ..

وفي وجه البداوة , مملكة من الرخام .

أرمني جواز سفري في البحر ..
وأسميك وطني ..
أرمني جميع معاجمي في النار
وأسميك لغتي ..
وأغتال جميع ملوك الطوائف
وأسميك مليكتي .

2

أشهرك في وجه تموز
وعداً بالمطر
وفي وجه العصافير ..
وعداً بالشجر
وفي وجه النوارس ..
وعداً باللون الأزرق

وأرافقُ الأطفال في رحلة مدرسيةٍ
حول نهديك ..
لِيلعبوا بكرات الثلج
وَيصطادوا البط المائي
وَيشاهدوا – على الطبيعة –
كروية الأرض ...

3

أشهرك في وجه الصحراء
نخله ..
وفي وجه الجفاف , سنبله قمح
وفي وجه الظلام ,
شمعداناً من الذهب

وفي وجه الجائعين , رغيف خبز
وفي وجه المستعبدين
راية حرية ..
أشهرك في وجه البشاعة
حمامة بيضاء
ونافورة ماءٍ .. وكتاب شعر

4

أشهرك في وجه البوليس العربي
أغنيه ..
وفي وجه النفط العربي
قارورة عطر
وفي وجه الموت العربي
بشارة ولاده ...

أعلن أمام أكلة لحوم النساء
 أنكِ حبيبتِي
 فيرمون أضراسهم في البحر
 ويقلعون أظافرهم
 ويغسلون الدمَ عن ثيابهم
 ويدخلون عصر النهضة ...

الطيران فوق سطح العالم

1

قررت نهائياً .. أن أتفرغ لك ..
فليس هناك قضية
تستحق أن يموت الإنسان من أجلها
إلا حُبكِ ..
ولا محطة تستحق الوقوف فيها
إلا محطة شعرك الليلي
وليس هناك أيديولوجية متكاملة
أكثرَ إقناعاً من تقاطيع وجهك ..
وليس هناك مكانٌ للانتحار
أعلى من ذروة نهديكِ ..

2

لقد جربت كل الأعمال اليدويه
من رسم على الزجاج ..
وحفر على الخشب
واستنفدت جميع امكانيات الصلصال والسيراميك
فلم أكتشف أية حرفة
أكثر تناسقاً من جسدك
وأصغيت إلى عشرات التنويعات على البيانو
فلم أسمع إلى معزوفةٍ
أحسنَ تأليفاً من أصابعك ...

قررتُ نهائياً ..

أن أتخلّى عن جواز سفري

وأصبحَ واحداً من رعاياك

قررت نهائياً ..

أن أتعلق بأية سحابةٍ

هاربةٍ مع أطفالها باتجاه البحر

فلم يعد لي وطنٌ ألتجئُ إليه ..

سوى سواحل يديك ..

أنتِ الوطنُ الأخير الباقي على خريطة الحرية

أنتِ الوطنُ الأخير الذي أطعمني من جوع ..

وآمنني من خوف ..

وكل الأوطان الأخرى .. أوطان كاريكاتورية

كرسوم والت ديزني ..

أو بوليسية ..

كمؤلفات أغاتا كريستي ..

أنتِ آخرُ سنبله ..

وآخرُ قمر ..

وآخر حمامه ..

وآخر غمامه

وآخرُ مركبٍ أتعلق به ..

قبل وصول التتارُ

أنتِ آخرُ وردٍ أشمها
قبل أن ينتهي زمن الورد ..
وآخر كتاب أقرؤه ..
قبل أن تحترق كل المكتبات
وآخرُ كلمةٍ أكتبها
قبل أن يأتي زوار الفجر
وآخر علاقة أقيمها مع امرأه
قبل أن تصبح الأنوثة
كلمة تفتش عنها بالعدسات المكبرة
في المعاجم والموسوعات

قررت أن أذهب معك ..
إلى آخر نقطة في العالم
وآخر نقطة من دمي ...
إنني مشتاق إلى الجزر التي لا تتعامل مع الوقت
ولا تقرأ الجرائد اليوميه
لم يعد عندي أي متاع يؤسف عليه ..
فلحمني .. أكلته الأسماك بين بيروت ولارنكا
ووطني ..
نشلوه من جيبي قبل أن أصعد إلى ظهر
السفينة ...

وتذكرة هويتي ...

عليها صورة رجل آخر

كان يشبهني قبل خمسين عاماً ..

ماذا تنتظرين كي تفتحي قلوب شعرك الأسود؟؟

إن رائحة الملح والتوتياء في الميناء

تخرقني كسيفٍ معدني

فلماذا لا تفتحي واحداً من شرايينك لإيوائي؟

أنا الذي فتحت جميع شراييني ..

لاستقبالك ...

لم يعد عندي أسئلة أطرحها
فأنتِ والبحر ..

تكتبان هذه اللية مصيري
لم يعد عندي ارتباطات بأي حجر ..
أو بأية شجره
أو بأية رائحه
أو بأية خزانة ملابس ..
فكل ما تبقى لي ..

هو سروال الجينز الأزرق الذي ألبسه.
والذي كان رفيق تسكعي ..

ورفيقَ السفر .. والمنفى , والمقاهي ,
والقطارات ,
وبواخر الشحن , والدوار , والليل , والبراندي ,
والجنس , والصراخ العصبي في دهاليز الجنون.
كل ما تبقى لي ..
هو هذا الجينز التاريخي ..
المغطى بالطعنات .. وفتات الخبز ..
وفتات الجنس .. وفتات صرخاتي ودموعي ..
والذي صارَ المتحف القومي لمشاعري ..
والمفكرة التي أسجل عليها مواعيد الإقلاع ..
والرسو .. ومواعيد الغيبوبة والكحول
وصارَ , بعد سقوط كل الأوطان
وطني

لن أعود إلى حماقتي السابقة ..

ولن أسألك إلى أين ؟

إن الجغرافيا لم تعد عندي ذات موضوع

فأنا قارورة حزن تطفو على وجه جميع بحار

العالم.

والمسافة بين ولادتي وموتي تُحسب

بالسنتيمترات.

لن أسألك إلى أين؟

المهم .. أن تنتزعيني من ذاكرتي

ومن أوراق الرزنامة العربية ..

وترميني على ظهر سفينةٍ

لا ترفع علم أي دولة

فأنا لم أعد مكترباً بالممالك .. ولا بالجمهوريات..
إن زجاجة البراندي ..
هي الجمهورية الأكثر عدلاً وأماناً في التاريخ..
فاغسلي قديمك بمائها المقدس
فهذه فرصتنا الوحيدة ..
للطيران فوق سطح العالم

بيروت 1984

درس في اللغة لتلميذة مبتدئة

1

خُذِي كُلَّ شَيْءٍ تَرِيدِيهِ..
واتركي لي لُغتي..
فأنا بحاجةٍ حينَ تكونينَ معي
إلى لغةٍ جديدةٍ أُحِبُّكِ بها..
وَأَمْسِطُ شَعْرَكَ بها..
وَأَغْسِلُ أَقْدَامَكَ بها..
وَأُعْطِيكَ بَحْنَانَ حُرُوفِهَا،
عندما تنامينَ..

إنني أعرفُ ألكِ من أقدم اللغاتِ
 ومن أخصب اللغاتِ
 ومن أصعب اللغاتِ
 ولكنني بحاجةٍ حين تكونينَ معي
 أن أصنعَ معجزةً صغيرةً
 أتحدّى بها نَهْدَيْكَ الراضينَ لكلِّ شيءٍ..
 والقادرينَ على كلِّ شيءٍ
 بحاجةٍ إلى لغةٍ ثانيةٍ..
 أتفوّقُ فيها على جسدك الخرافي..
 وأرفعُ فيها بيارقي
 على أبراجك التي لا تغيب عنها الشمسُ...

بلا لُغتي..

أنتِ امرأةٌ مثل باقي النساءِ

وبها، أنتِ كلُّ النساءِ

بلا لُغتي..

أنتِ إشاعةُ امرأةٍ..

فُصاصةُ امرأةٍ..

مشروعُ امرأةٍ..

رَسْمٌ تجريديٌّ لم يستوعبه أحدٌ..

ومخطوطةٌ شِعْريَّةٌ

كُتِبَتْ بحبرٍ سريٍّ

ولم ينتبه إليها الناشرون...

بلا لغتي..
 أنتِ إسْوَارَةُ بلا مِعْصَمَ
 وملكةُ بلا شعبُ
 ووطنُ بلا مواطنين..
 وكنيسةُ بلا مصلّين..
 وقصيدةُ جميلةٌ لم يقرأها أَحَدٌ
 وها أنذا جئتُ لكي أعلمَ الناسُ
 كيفَ يَتَهَجُّونَكَ...

بلا لُغتي..

أنتِ فراشةٌ من حَجَرٍ

لا تحطُ .. ولا تطيرُ

وبيدرُ لا تهاجمه العصافيرُ

وجزيرةٌ لا تقصدها المراكبُ

وشفةٌ مكتظةٌ بالعنبُ

لكنّها..

لا تعرفُ طعمَ النبيذِ...

بلا لغتي..

لن تجدي مرآة تتمرّين بها..

ولن تجدي مكحلة تتكحلّين بها..

ولن تجدي حلّاقاً تضعينه في أدنّيك..

أصفي من دموعي..

فكلماتي هي مراياك

ومفرداتي هي أدوات زينتك

فخذي كلّ شيء تريدينه..

واتركي لي لغتي..

فهي صولجانُ مجدك

وإكليلُ الغار على جبينك

وهي العصفورُ الجميل الذي سيحملك على

جناحيه

ويطير بك حول الكرة الأرضية.

7

بلا لغتي..

أنتِ كتابٌ لا يزالُ تحت الطبعِ

وقبله مؤجِّلُه التنفيذُ

وصلصالٌ لم يتشكَّلْ بعدُ..

ووردةٌ لم تكتشف عطرها بعدُ..

ونهدٌ .. لم يعرف ما اسمه بعدُ..

فهو ينتظرني حتى أسمىه..

خُذِي كُلَّ شَيْءٍ تَرِيدِينَهُ
 وَاتْرَكِي لِي لَغْتِي..
 فَهِيَ الْوَرَقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي بَقِيَتْ فِي يَدِي..
 وَالْحَصَانُ الْأَخِيرُ الَّذِي أَقَامَرُ عَلَيْهِ..
 لَقَدْ رَبَحْتُ حَتَّى الْآنَ عَشْرَاتِ الْجَوْلَاتِ..
 وَهَزَمْتَنِي عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ..
 فِي مَعْرَكَةِ الْحَبِّ..
 فَاسْمَحِي لِي أَنْ أُنْتَصِرَ عَلَيْكَ
 وَلَوْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ..
 فِي مَعْرَكَةِ الْكَلِمَاتِ..

الموت الأخير

هذا هو الحدُّ الأقصى لجُنُونِي
ولم أعدْ أقدر أن أحبَّكَ أكثرَ..
هذا هو المدى الأخيرُ لذرَاعيْ
ولم أعدْ أستطيعُ أن أضُمَّكَ أكثرَ..
هذه أعلى نقطة يمكنني الوصول إليها
على جبال نهديكِ.. المتوجِّجين بالثلج والذهب..
ولم يعدْ بوسعي أن أتسلَّق أكثرَ..
هذه آخرُ معركةٍ أدخلها..
للوصول إلى نوافير الماء في غرناطة
ولم يعد بوسعي أن أقاتلَ أكثرَ..
هذا آخرُ موتٍ.. أموته مع امرأه
ومن أجل امرأه..
ولم يعدْ يمكنني أن أموتَ أكثرَ..

من ملفات محاكم التفتيش

1

يطالبُني حكماءُ القبيلة
أن أترك أشعاري على باب خيمتك
وأدخلَ عليك، مجرداً من السلاح
ماذا يبقى مني؟
إذا نزلتُ عن فرس العشق
ورهنْتُ راياتي وأوسمتي
ومعطفَ الكلمات الجميلة
الذي كنتُ أختالُ به
كفهدٍ إفريقي مرقط..

يطالبني عقلاء القبيلة
 حتى لا تشتعل الفتنة
 وحتى لا يتقاتل الرجال مع الرجال
 من أجل حَقنة كحل..
 وحتى لا يسيل دم التاريخ من أجل غزائه
 أن أفكّ ارتباطي بعينيك السوداوين
 وأحتكم إلى العقل..
 ماذا يبقى من وطن الكحل؟
 الذي أعطاني جنسيّتي، وجواز سفري
 إذا قبلت التحكيم
 وخرجت من عينيك السوداوين
 تلبية لمقتضيات الأمن البدويّ

يطالبني فقهاء القبيلة

باسم الوصايا العشر التي لم أقرأها

وباسم دولة الذكور التي لا أعترف بها

وباسم المؤلفات التي ألفها الجرادُ الصحراويّ

وباسم شجرة العائلة

التي كسرئها.. وتدفأتُ على حطبها

أن أتركَ عشقي لكِ في غمده..

وأتخلّى عن أجمل سيفٍ من الذهبِ

اقتنيئُهُ في حياتي ...

يحاكمني على حبّي بكِ..
 قضاءً .. لم يقرأ أو نصاً واحداً من نصوص
 العشق
 ولم يسمعوا بـ (طوق الحمامة) لابن حزم..
 وبـ (فنّ الحب) لأوفيد
 ويطلبُ برأسي..
 مثقفونَ يمارسون الحبَّ مع ذباب المقاهي
 ولوطيئون..
 لم يتشرفوا بالوقوف في حضرة امرأة
 أو بقضاء العطلة الصيفية في عيني امرأة
 أو بالسباحة في صوت امرأة ..

ينصحنى شعراءُ القبيلة
الذين رفضت الأميرةُ قصائدَهُمْ
وأمرت بشنقهم واحداً .. واحداً .. على شرفتها
لأنهم لم يفهموا لُعبةَ الأنوثة
ولا لُعبةَ الشعرِ ..
وتلعثموا حين سألَهُمْ:
عن الفرق بين إيقاعات البحر الطويل
 وإيقاعات شعرها الطويل
وعن الفرق بين خصائص شفتيها
 وخصائص النبيذ الفرنسي
وعن الفرق بين النقطة في آخر السطر
 والشامة في أعلى الظهر ...

6

ينصحنى مرتزقة البلاط
أن أعود من حيث أتيت
لأن الأميرة لا تفتح نافذتها
إلا لعصفور يزقزق جيداً ..
وأني لو فشلت ..
دفنتني في عتمة ضفائر ها ..

7

أضع دمي على كفي
وأرشُ شرافى الأميرة بأشعاري
يستيقظ النهدان الكسولان من نؤمهما،
ويهربان معي

يجتمع حكماء القبيلة ومستشاروها في جلسةٍ
طارئةٍ

ويدرسون ملقي ورقةٍ ورقةٍ..

وأعمالٍ قصيدةً .. قصيدةً..

ويستعرضون حبيباتي امرأةً.. امرأةً..

يأخذون بصمات يدي.. وبصمات فمي..

ويستمعون إلى إفادات شعراء من الدرجة

العاشرة

جاؤوا من كل المدن العربية ليشهدوا ضدي ...

يقرّرون بالإجماع: أنني فضيحة مقروءة
 وأنا في خطرٍ على الأمن النسائي..
 يطلبون مني أن أغادر الوطن
 خلال ثمان وأربعين ساعة
 فأغادره...
 وتتبعني إلى المنفى كلُّ نساء القبيلة...

حوارٌ مع يدين أرسقراطيتين

1

بالرغم من نزعتي الراديكاليَّة
وتعاطفي مع جميع الثورات الثقافية في العالم
فإنني مضطّرُّ أن أرفع قُبَّعتي
ليديك البورجوازيَّتين...
المصنوعتين من الذهب الخالص..
مُضطّرُّ أن أعترف بنعومتها القصوى
وأنوِّثها القصوى..
وسلطتهما المطلقة على الماء والنبات
والحجر والبشر..

ومضطراً أن أعترف بفضلهما

على حضارة الإغريق

وحضارة الفراعنة

وحضارة ما بين النهرين.

ومضطراً أن أعترف

بذكائهما حين تتكلمان

وبعمقهما حين تصمتان

وبحضارتهما...

حين تُمسِكان إبريقَ الفضّة

وتسكبان الشايَ في فنجاني ...

يداكِ أرسقراطيتان.. بالوراثه
 كما الزُرافه ممشوقه بالوراثه
 وكما البلبلُ موسيقيُّ بالوراثه
 وكما الكلمه متمرده.. بالوراثه
 وأنا...

لستُ ضدُّ يديكِ.. المرفهتين.. المدللتين..
 ولا أفكرُ – حين أكونُ معهما-
 بأيِّ مشاعرٍ طبقية...

فأنا لا أخطُ أبداً..

بين ما أعتقد أنه عادلٌ ..

وبين ما أعتقد أنه جميلٌ..

بين الأيديولوجيات التي ألمسها بذهني

والأيديولوجيات التي تنقُط حليماً وعسلاً

في راحة يدي...

بين روعة المبادئ

وروعة يديكِ المليستين

كأواني الأوبالين

وزجاج (غالية)...

يداكِ ملوكيّتان ..

لهما أبهة الملوكِ , وعنفوان الملوكِ

وأنا لا أعرف كيف أجلس على طاولة الملوكِ

وما هي اللغة المستعملة في مخاطبة الملوكِ

إنني لم أعشق في حياتي مليكة غيرك..

ولم أتورط مع امرأة..

من صاحبات الدم الأزرق سواك...

فأنا واحدٌ من أفراد هذا الشعبِ

قلبه ينبضُ كتفاحةٍ حمراءِ

وأنفه يشمُ رائحةَ الأنثى

بصورةٍ بدائيةٍ...

فعلّمني..

كيف أكون مهذباً مع يديك المَهْدَبَتَيْنِ..

علّمني كلمة السرّ التي توصل إلى كنوز يَدَيْكَ

وعلميني كيف أستعملُ ملاعقَ الفضّة

وكيف أتسلّق السلالمَ العاجيّة

وكيف أسند رأسي..

على المخدات المصنوعة من القطيفة وريش

العصافيرُ

يا ذاتَ اليدينِ اللتين تربّتَا في العزِّ والدلالِ

علميني ماذا أقول لحَرَاسِكَ؟

حتى يسمحوا لي بالدخول إلى قاعة العرشِ

لأَقْدِمَ ولأَني لأَصَابِعُكَ الخرافية التكوين

وأتلو صلواتي أمام أغلى شمعدانين من الفضّة

في تاريخ الكنائس البيزنطيّة....

يدالكِ مثَقَّفَتانِ كثيرًا..
 وأُستاذَتانِ في علمِ الجمالِ
 وأنا أقرأ .. وأُكتبُ .. على ضوءِ يديكِ
 وأُذكرُ جميعَ دروسي
 وأُدخلُ جميعَ امتحاناتي
 وأنالُ جميعَ شهاداتي
 برعايتهما، وحنانهما، ودَعَوَاتهما الصالحاتِ
 فيا ذاتَ اليدينِ اللتين أدينُ لهما بكل ما أعرفُ
 لا تُخبري أحداً..
 أنَّ يديكِ هما مصدرُ ثقافتِي..

زرتُ متاحفَ الدنيا
 من اللوفر، إلى المتروبوليتان، إلى البرادو
 ورأيتُ أروعَ الأعمال التشكيلية
 وأقدمَ المنحوتات، والأيقونات
 ولكنني لم أشاهدَ مَنُوتةً
 بهَرَثني أكثرَ من يدَيك ...

يداكِ مخطوطتان عربيتان نادرتان
وكتابان .. ليس لهما نسخة ثانية
فلا تسحبي يدكِ من يدي
حتى لا أعودَ أُميًّا ...

يداكِ أميرتان من العصر الوسيط
تركبان عربية من الذهب
يجرها حصانان من الذهب
فمتى يصبح النظام في وطني ديمقراطياً
لأتمكن من مصافحة الأميرتين؟

لو علم رواد المقاهي
أن يَدَيْكَ تتردّدان على المقهى كلّ يومٍ
لتركوا فناجينَ قهوتهم
وشرّبوا يَدَيْكَ...

يقفُ المؤمنونُ
أمامَ كنيسةِ القدس بولس في روما
مبهورينَ ...
وأقفُ أمامَ كنيسةِ يدِيكَ..
حاملاً زيتي.. وشموعي..
علني أحظى بمفاتيح الجنة...

أنظر إلى يديك ..
وأنتِ تقرأينَ فنجاني
فأطمئنُ على مستقبلي ..

يَذَاكِ سَحَابَتَانِ رَبِيعَتَانِ

لَوْلَاهُمَا..

لَمَاتِ الْعَالَمُ عَطَشًا...

كل قصائد الشعرُ
 من فيرجيل إلى رامبو ..
 ومن المتنبي إلى ماياكوفسكي
 تبدو أمام كلام يديك الموهبتين
 وكأنَّهما مُسودَّات لقصائد لم تكتملِ..

أصابعُ موزارتْ
توصلني إلى حالة انعدام الوزنْ
وأصابعكْ..
تُوصلني إلى اللهْ

ليلة في مناجم الذهب

1

جسمك مدعوك بالثلج والنار
ومعجون ببعضة..

كمرّبي التين والسفرجل
ومطروق كأباريق النحاس
ومليس كالبروكار الدمشقي
وعابق كأسواق البهار
في مدينة آسيوية.

جِسْمُكَ مُطَرِّزٌ بِالشَّامَاتِ
 كَلِيلِ الْبَادِيَةِ
 وَمَزْخَرَفٌ بِالْأَزْهَارِ،
 كَالْخَطِّ الْكُوفِيِّ
 وَطَارِجٌ كَعُرُوقِ النِّعْنَاعِ
 وَلَا مَعُ تَحْتَ الشَّمْسِ كَقَفَمَةِ الْبَحْرِ
 وَمُسْتَنْقَرٌ لِلْقَتَالِ..
 كَدِيكَ لَا يَنَامُ....

3

جسمكِ مهرِ جانٍ للضوء والصوت
يُقامُ تحت رعاية الله....

4

جسمك ليرة ذهبية
ضربت في القسطنطينية
ولم يجرؤ أيُّ من السلاطين
أن يصلك مثلاً مرة ثانية...

جِسْمُكَ مَكْتَنُ بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ
 مَكْتَنُ بِالْمَعَادِنِ،
 وَالْحَنْطَةِ،
 وَالتُّوتِ الْبَرِيِّ
 وَأَشْجَارِ السُّمَّاقِ
 مَكْتَنُ بِالنُّبُوءَاتِ كَالْكُتُبِ الْمَقْدَّسَةِ
 وَمَضْرُوبُ الْحَلِيبِ وَالْعَسَلِ الْأَسْوَدِ
 وَمُشْرَبُ الشَّمْسِ
 كُلِّهِمُ الْفَاكِهِةِ الْإِسْتَوَائِيَّةِ..

6

جسمك له رائحة القرفة واليانسون
ورائحة الأطفال
في اليوم الأول من ولادتهم..

7

جسمك مقام عراقي قديم
وقهوة.. وهال
وأطار لؤلؤ كريم
و "إله من سليمان،
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم"

8

جِسْمُكَ مَكْتَنَزٌ كَبِيرٌ تَقَالَهُ
وَمَغَامِرٌ كَسَمَكَةٍ
وَمِفْتُوحٌ كورقةِ الْكِتَابَةِ..

9

جِسْمُكَ بَرَجٌ مِنَ الدَّهَبِ
يَسْتَقْبِلُ كُلَّ صَبَاحِ أَلْفِ حَمَامَةٍ
وَيُودِّعُ أَلْفَ حَمَامَةٍ

10

جسمك شجرةٌ موسيقى
كلما هزتها
تساقطت منها الموشحات الأندلسية
ودموعُ إسحق الموصلي..

11

جسمك دفترٌ سريّ
سجّلتُ عليه
كل تاريخ الشعر
وكلّ تفاصيل ليلة القدر

12

جسمك وليمةً مجنونةً
من ولائم الرومان
يسكرُ فيها النهْد..
حتى يسقط على سجادة الموكيت
نجمةً محترقةً...

13

جسمك قبيلةٌ تحترف الحرب
كتيبةٌ مدججةٌ بالأنوثة..
غزوةٌ حضارية
لاحتلال جميع رجال العالم .

جسمك كاندرائية قوطية الأقواس
 تمارس فيها كل الديانات
 ونضاء الشموع
 وتقرع الأجراس
 جسمك منارة المنارات
 ووطن السفن التي لا وطن لها
 ووطن العصافير التي تموت من شدة البرد
 ووطن الكلمات
 التي تموت من شدة القمع..

جسمك مزارٌ..
 لوليّ شرقيّ مات عشقاً
 ومخطوطة من العهد القديم
 عليها تواقيعُ ملوكٍ وأنبياءٍ
 ومغنّين وشعراءٍ
 ورسّامين من عصر النهضة
 ومعماريين..
 من السلالة الفرعونية الرابعة..

16

جسمك عصفورٌ يلعبُ على البيانو جيداً
ويغني.. ويرقص..
ويكتب الشعرَ جيداً..
جسمك حربةٌ من البرونز المشتعل
تسافرُ في لحمي.. جيداً..
وتذبحني..
جيداً.. جيداً.. جيداً....

17

جسمك حاضراً البديهة دائماً
كتغلبٍ متربّصٍ في غابَةٍ...

جِسْمُكَ كِتَابٌ يُقْرَأُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ
 عَمُودِيًّا يُقْرَأُ..
 وَفِي الصَّبَاحِ يُقْرَأُ
 وَفِي الْمَسَاءِ يُقْرَأُ
 وَفِي وَقْتِ الْقِيلُولَةِ يُقْرَأُ
 وَمِنْ التَّفَاقَةِ الْعُنُقِ يُقْرَأُ
 وَمِنْ شَمُوحِ النُّهْدَيْنِ يُقْرَأُ
 وَمِنْ أَصَابِعِ الْقَدَمَيْنِ يُقْرَأُ
 وَمِنْ اسْتِدَارَةِ الْفَخَذَيْنِ يُقْرَأُ
 جِسْمُكَ قَارَةٌ مُتَعَدِّدَةُ اللُّغَاتِ...

19

جِسْمُكَ فِيهِ كُلُّ عَظْمَةِ التُّرَاثِ
وَكُلُّ دَهْشَةِ الْحَدَاثِ
فِيهِ شَيْءٌ مِنْ أَصُولِيَةِ الْمُتَنَبِّي
وَشَيْءٌ مِنْ إِضَاءَاتِ رَامِبُو
وَهَلْوَساتِ سِيلْفَادُورِ دَالِي...

20

جِسْمُكَ تَوْرِيٌّ بِالْفِطْرَةِ
وَفِدَائِيٌّ بِالْفِطْرَةِ
وَقَاتِلٌ أَوْ مَقْتُولٌ..
بِالْفِطْرَةِ..

21

إذا كان نهداكِ مثقّفين ثقافةً عاليّةً
- كما تقولين -

فلماذا لم يعترفوا حتى الآن
بقانون الجاذبية الأرضيّة؟

22

درسونا في كلية الحقوق
أن نهداكِ..

هو أقدمُ إعلانٍ للحرية
عرفه العالم..

23

جِسْمُكَ إِشْكَالٌ لِّغَوِيٍّ كَبِيرٍ
فَلا أَنَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَحْفَظُهُ..
وَلَا أَنَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَنْسَاهُ

24

جِسْمُكَ هُوَ الْمَلَكُ
وَهُوَ يَحْكُمُنَا بِاسْمِ اللَّهِ...
وَيَدْخُلُنَا الْجَنَّةَ بِأَمْرِ اللَّهِ...
وَيُطْرَدُنَا مِنْهَا .. بِأَمْرِ اللَّهِ...

عندما تجلسين على المقعد الأخضر
ويقررُ جسمُك أن يلقيَ قصيدته..
أستقيلُ أنا من الكلام....

قبل أن .. بعد أن ..

1

قبل أن أحبك..

كنتُ متصالحاً مع اللغّة

ألعبُ بها، بمهارة ساحرٍ محترفٍ

وأحرّكُ خيوطها..

كما يحركُ طفلٌ طيارةً من ورقٍ

كنتُ أميرَ الطير.. وسيدَّ المغنّينِ

وكنتُ إذا سرتُ في الغابةِ

تركضُ خلفي الأرانب..

وتتبعني الأشجارُ

وتكلمني الضفادعُ النهريةَ

وتنزلُ النجومُ من شُرُفاتها

لتنامَ على كتفي..

قبل أن أحبك..
 كانت إقطاعاتي الأدبية
 لا تغيبُ عنها الشمسُ
 ومملكتي الشعرية
 تمتدُّ من الماء إلى الماء
 ومن النساء.. إلى النساء
 وكانت الشفة التي لا أكتب عنها
 تتحوّل إلى وردةٍ من ورقٍ..
 وكان النهْدُ الذي لا يبايعني
 ملكاً مدى الحياة
 يُعتبر نهْداً أمياً.. ورجعياً
 وتسقطُ عنه حقوْقه المدنية..

قبل أن أحبك ..

كان يختبئ في حنجرتي عشُّ عصفيرٍ

ويعزفُ في دمي

ألفُ تشايكوفسكي..

وألفُ رحمانينوفُ

وألفُ سيّد درويشُ

كانت الأبديةُ صديقتي

وكانت الثمانيةُ وعشرونَ حرفاً

تكفي لبوحي، واعترافاتي

وتتبعني كقطيع من الغزلانُ

تأكلُ العشبَ من يدي

وتشربُ الماءَ من يدي..

وتتعلّمُ أصولَ الحبِّ على يدي..

قبل أن أحبك..
 وأحلامي على قَدِّي
 وحزني.. وفرحي.. وجنوني
 على قَدِّي..
 وحين جاء الحبّ الكبيرُ
 بدأ المأزقُ الكبيرُ
 وتمزّقتُ خرائطُ اللّغة
 وصارَ كلُّ ما أعرفه من كلامٍ جميلٍ
 لا يكفي لتغطية عشر دقائق من الحنينِ
 عندما أدعوك للعشاء..

قبل أن تصبحي حبيبتي
 كنتُ أضطجعُ على سرير اللّغة
 أتغزلُ بالكلمة التي أريدُ
 وأتزوجُ المُفردة التي أريدُ
 لم يكنْ عندي مشكلةٌ مع اللّغة
 كنتُ مسكوناً بالرنين كأرغن كنيسة
 وكنتُ أهّل كالحمام
 وأصدح كطيور الكناري
 وألبس اللّغة في إصبعي
 خاتماً من الزمرد الأخضر..

بعد أن صرتِ حبيبتي
 أضعتُ ذاكرتي اللغويّة نهائياً
 ونسيتُ كيف تُهجّى الحروف.. وكيف تُكتَبُ..
 فلم أعدُ أتذكر من الأسماء
 إلا إسمكِ..
 ولم أعدُ أتذكر من الأصوات..
 إلا صوتكِ...
 ولا أتذكر من موانئ البحر الأبيض المتوسط
 سوى عينيكِ المكتظتين..
 بالحزن..
 والحُمل..
 وطيور النورس...

بعد.. أن دخلَ سيفُك في لحمي

ولحم ثقافتِي

إكتشفتُ أن مساحةَ الفن تضيقُ

كلما اتَّسعتْ مساحةُ العشقِ

وأن الكلمات التي كنتُ أعرفها قبلكِ ،

سقطتْ من التداولِ

كعملةٍ ورقيةٍ ليس لها تغطية

وأن جميعَ ما أعرفه من مفرداتٍ

لا يكفي لتسديدِ ثمنِ فنجانِي قهوةٍ

في أحد مقاهي فينيسيا.. أو كومو..

أو فيينا.. أو لوغانو..

أو بيروت..

يا التي تعتقني في داخل قصائدي

وتتحكم بمفاتيح حنجرتي

ومقامات صوتي..

لم يعد يكفيني أن أقولَ (أحبّكِ)

أريد أن أصل معكِ إلى مرحلة ما بعدَ اللغة

وسُحيم..

وعُرْوَة بن الورد

والرمزيين، والبرناسيين، والسرياليين...

فيا سيّدي، التي أخذت في حقيبتها اللغة..

وسافرت...

لماذا أطلقت الرصاصَ على فمي؟

وأرجعتني إلى مرحلة التأتأة....

الحب .. على شريط تسجيل

1

كلامك ليس يُطاق..
وتعبيرُ عينيك ليس يُطاق..
وهذي الأغاني التي يتَغَرَّغُ فيها المُسجِّلُ
منذُ ابتداءِ النهار، إلى مطلعِ الفجر
ليست تطاق..
ولا بدَّ لي أن أغادر..
لماذا أظُلُّ هنا؟ حين كلِّ الوسائدِ ضدِّي..
وكلِّ المقاعدِ ضدِّي..
وكلِّ المرايا.. وكلِّ الزوايا .. وكلِّ الستائر..
لماذا أظُلُّ هنا بعد موت جميع المشاعر؟

لماذا أظلُّ هنا؟

حين أشعر أني سأشْنَقُ في آخر الليل..

فوقَ الصفائرِ..

لماذا أظلُّ هنا؟

حين أعرفُ أني سأدْفِنُ تحت رنينِ العُقودِ..

وضَوْعَ البخورِ..

وشكوى الأساورِ..

سأذهبُ حتى أقابلَ شِعْري

فإنني نسيتُ تماماً، طريقةَ رَسْمِ الحُرُوفِ،

نسيتُ بياضَ الدفاترِ..

فنصفي مقيمٌ لَدَيْكَ

ونصفي مسافرٌ...

صحيحٌ بأنِّي أحبكِ ..
 لكنَّ هذا المناخَ العدائيَّ بيني وبينكِ ..
 أطفأ كلَّ النجوم،
 وأُيَبَسَ كلَّ البيادرِ
 صحيحٌ.. بأنَّ المكانَ أنيقٌ
 وأنَّ النبيذَ عميقٌ
 وأنَّ التماثيلَ رائعةٌ، والأزاهرُ
 ولكنني، رَغَمَ هذا الإطارِ الملوكيِّ حولي،
 أحسُّ بأنِّي أموتُ كشاعرٍ...

ويا ستَّ كلِّ الجميلاتِ..
 أعلمُ أن عبيدك كُثُرٌ..
 وأنَّ جُنُودَكَ كُثُرٌ..
 وأنَّ وصالَكَ قَهْرٌ.. وهَجْرَكَ قَهْرٌ..
 وأنَّ الذي لا يَسْبَحُ بِاسْمِكَ كَافِرٌ
 فلا تَضَعِينِي.. بِقائِمَةِ الرُّكَّعِ السَّاجِدِينَ
 ولا تُدْخِلِينِي.. بِجَيْشِ الدَّرَاوِيشِ وَالصَّابِرِينَ
 ولا تَحْسِبِينِي..
 خَرُوفاً تُجْزِّينَ عَنْ جِسْمِهِ الصُّوفَ.. كَالْآخِرِينَ
 ولا تَسْتَبْدِي بِرَأْيِكَ فَوْقَ فَرَّاشِ الْهُوَى
 لِأَنِّي مِنَ اللَّهِ.. لَا أَتْلَقِي الْأَوَامِرَ...

أنا والنساء

1

أريدُ الذهابَ ..
إلى زَمَنٍ سابقٍ لمجيءِ النساءِ..
إلى زَمَنٍ سابقٍ لِقُدُومِ البكاءِ
فلا فيه أَلْمَحُ وجهَ امرأةٍ..
ولا فيه أَسْمَعُ صوتَ امرأةٍ..
ولا فيه أَشْنَقُ نفسي بثدي امرأةٍ..
ولا فيه أَلْعَقُ كالهرِّ رُكْبَةَ أيِّ امرأةٍ...

أريدُ الخروجَ من البئرِ حيًّا..
لكي لا أموتَ بضربةٍ نَهْدٍ..
وأهْرَسَ تحتَ الكُعُوبِ الرفيعةِ..
تحتَ العيونِ الكبيرةِ،
تحتَ الشفاهِ الغليظةِ،
تحتَ رنينِ الحَلَى، وجُلُودِ الفِرَاءِ
أريدُ الخروجَ من الثقبِ
كي أتَنفَّسَ بعضَ الهواءِ..

أريدُ الخروجَ من القِنِّ..

حيثُ الدجاجاتُ ...

ليس يفرّقنَ بينَ الصباحِ وبينَ المساءِ

أريدُ الخروجَ من القِنِّ..

إنَّ الدجاجاتِ مزَقْنَ ثوبي..

وحلّلنَ لحمي..

وسمّينني شاعرَ الشعراءِ....

كرهتُ الإقامة في جَوْفِ هذي الزُّجاجةِ..

كرهتُ الإقامةِ..

أيمكنُ أن أتولّى

حِرَاسَةَ نَهْدَيْنِ..

حتى تقومَ القيامةُ؟؟

أيمكنُ أن يصبحَ الجنسُ سِجْنًا

أعيشُ به ألفَ عامٍ و عامٌ

أريدُ الذهابَ..

إلى حيثُ يمكنني أن أنامَ...

فإني ملئتُ النبيذَ القديمَ..

الفرّاشَ القديمَ..

البيانو القديمَ..

الحوارَ القديمَ..

وأشعارَ رامبو..

ولوحات دالي..

وأعينَ (الزّا)

وعُقْدَةَ كافكا..

وما قالَ مجنونٌ ليلى

لشرح الغرامِ...

متى كانَ هذا المُخَبَّلُ مجنونُ ليلي..

خبيراً بفنِّ الغرام؟

أريدُ الذهابَ إلى زمن البحر..

كي أتخلَّصَ من كل هذي الكوابيس،

من كلِّ هذا الفِصَامِ

فهل ممكنٌ؟

- بعد خمسينَ عاماً من الحُبِّ-

أن أستعيدَ السلامَ؟؟

أريدُ الذهابَ.. لما قَبْلَ عصرِ الضفائرُ
وما قَبْلَ عصرِ عُيُونِ المَهَا..
وما قَبْلَ عصرِ رنينِ الأساورُ
وما قَبْلَ هِنْدٍ..
ودَعْدٍ..
ولُبْنَى..
وما قَبْلَ هَزِّ القُدُودِ،
وشَدِّ النُّهُودِ..
ورَبْطِ الزنانييرِ حولِ الخواصرِ..

أريدُ الرحيلَ بأيِّ قطارٍ مُسافرٍ
فإنَّ حُرُوبَ النساءِ
بدائيَّةٌ كحروبِ العشائرِ
فَقَبْلَ المِعارِكِ بالسيفِ،
كانتْ هناكَ الأظافرُ!!.

*

كرهتُ كتابة شعري على جسد الغانيات
 كرهتُ التسلُّق كلَّ صباح، وكلَّ مساءٍ
 إلى قمة الحَلَماتِ..

أريدُ انتشالَ القصيدة من تحت أحذية العابرات
 أريدُ الدخولَ إلى لغةٍ لا تجيد اللغات
 أريدُ عناقاً بلا مُفرداتٍ
 وجنساً بلا مُفرداتٍ
 وموتاً بلا مُفرداتٍ
 أريدُ استعادةً وجهي البريء كوجه الصلاة
 أريدُ الرجوعَ إلى صدر أمِّي
 أريدُ الحياة...!

حبُّ .. تحت الصفر

1

هو البحرُ.. يفصل بيني وبينك..
والموجُ، والريحُ، والزمهريرُ..
هو الشعْرُ.. يفصل بيني وبينك..
فانتبهي للسقوط الكبير..
هو القَهْرُ.. يفصل بيني وبينك..
فالحبُّ يرفضُ هذي العلاقة
بين المرابي.. وبين الأجير..

أحبُّكَ..

هذا احتمالٌ ضعيفٌ.. ضعيفٌ

فكلُّ الكلامِ به مثلُ هذا الكلامِ السخيفِ

أحبُّكَ.. كنتُ أحبُّكَ.. ثم كرهُنَّكَ..

ثم عبدُوكِ.. ثم لعنُوكِ..

ثم كَتَبُوكِ.. ثم محوُوكِ..

ثم لصقُوكِ.. ثم كسرُوكِ..

ثم صنعُوكِ.. ثم هدمُوكِ..

ثمَّ اعتبرُوكِ شمسَ الشَّمْسِ.. وغيَّرتُ رأيي..

فلا تعجبي لاختلافِ فصولي

فكل الحقائق، فيها الربيعُ، وفيها الخريفُ..

هو الثلجُ بيني وبينك..

ماذا سنفعلُ؟

إنَّ الشتاءَ طويلٌ طويلٌ

هو الشكُّ يقطعُ كلَّ الجُسورِ

ويُقفِلُ كلَّ الدروبِ،

ويُعْرِقُ كلَّ النخيلِ

أحبُّكِ!.

يا ليتني أستطيعُ استعادةَ

هذا الكلام الجميلِ.

أحبُّكِ..

أين تُرى تذهبُ الكلمات؟

وكيف تجفُّ المشاعرُ والفُبلاتُ

فما كان يمكنني قبل عامين

أصبح ضرباً من المستحيل

وما كنتُ أكتبُهُ – تحت وهج الحرائق –

أصبحَ ضرباً من المستحيل..

هو الطقس يفصلُ بيني وبينك ..
إن الضبابَ كثيفٌ
وأنتِ أمامي.. ولستِ أمامي
ففي أي زاويةٍ يا ثرى تجلسين؟
أحاولُ لمُسكٍ من دون جدوى
فلا شفتاكِ يقينٌ.. ولا شفتاي يقينٌ
يداكِ جليديّتان.. زجاجيّتان.. محطّتان..
وأوراقُ أيلولَ تسقطُ ذاتَ الشمالِ وذاتَ اليمينِ
ووجهُك يسقطُ في البحرِ شيئاً فشيئاً
كنصف هلالٍ حزينٍ..

تموتُ القصيدةُ من شدة البردِ..

من قلة الحبِّ ..

من قلة الفحم والزيتِ..

تبيسُ في القلب كلُّ زهور الحنينِ

فكيف سأقرأ شعري عليكِ؟

وأنتِ تنامينَ تحت غطاءٍ من الثلجِ..

لا تقرأين.. ولا تسمعين..

وكيف سأتلو صلاتي؟

إذا كنتِ بالشعر لا تؤمنين..

وكيف أقدمُ للكلمات اعتذاري؟

وكيف أدافعُ عن زمن الياسمين؟

جبالٌ من الملح.. تفصل بيني وبينك..
 كيف سأكسر هذا الجليد؟
 وكيف سأقطع هذي المسافة بين شفاه تريد
 اغتياي
 وبين سريري يريدُ اعتقالي..
 وبين ضفيرة شعرٍ تكبِّلني بالحديد؟

أحبُّكِ.. كنتُ أحبُّكِ حتى التَّنَاقُصِ.. حتى التَّبَعُثُرِ..
 حتى التَّبَخُّرِ.. حتى اقْتِحَامِ الكَوَاكِبِ، حتى
 ارتكَابِ القَصِيدَةِ،
 حتى ادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ، حتى انْقِطَاعِ الْوَرِيدِ
 أحبُّكِ.. كنتُ قَدِيمًا أَحَبُّكِ..
 لَكِنَّ عَيْنِيكَ لَا تَأْتِيَانِ بِأَيِّ كَلَامٍ جَدِيدٍ
 أحبُّكِ.. يَا لَيْتَنِي أُسْتَطِيعُ الدَّخُولَ لَوْ قَدْ الْبَنَفْسُجُ،
 لَكِنَّ فَصَلَ الرَّبِيعِ بَعِيدٌ..
 وَيَا لَيْتَنِي أُسْتَطِيعُ الدَّخُولَ لَوْ قَدْ الْقَصِيدَةُ،
 لَكِنَّ فَصَلَ الْجَنُونِ انْتَهَى مِنْ زَمَانٍ بَعِيدٍ.

1986

***** النهاية *****